٨

# سلسلة قصص الأنبياء

## إسماعيل عليه السلام


تأليف

الشيخ /بكر محمد إبراهيم



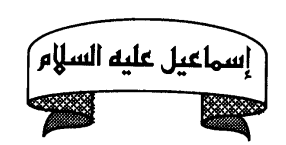
مكتبة زهران

١٥ شارع الشيخ محمد عبده

خلف الجامع الأزهر ت ٥١٠٩٨٨٧

حقوق الطبع محفوظة للناشر

| | |
|---|---|
| رقم الإيداع | ١٨١٩٠ / ٩٩ |
| ترقيم دولي | 977-5096-61-8 |




## * مولد إسماعيل عليه السلام :

قال أهل الكتاب : إن إبراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة، وأن الله بشره بذلك وأنه لما كان لإبراهيم ببلاد بيت المقدس عشرون سنة قالت سارة لإبراهيم عليه السلام: إن الرب قد حرمني الولد فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقني منها ولدًا.

فلما وهبتها له دخل[1] بها إبراهيم عليه السلام ، فحين دخل بها حملت منه قالوا : فلما حملت ارتفعت نفسها وتعاظمت على سيدتها، فغارت منها سارة فشكت ذلك إلى إبراهيم فقال لها: افعلي ما شئت ، فخافت هاجر فهربت فنزلت عند عين هناك ، فقال لها ملك من الملائكة: لا تخافي فإن الله جاعل من هذا الغلام الذي حملت خيرًا وأمرها بالرجوع وبشرها أنها ستلد ابنًا وتسميه إسماعيل ويكون حسن الناس يده على الكل ، ويد الكل به، ويملك جميع بلاد إخوته، فشكرت الله عز وجل على ذلك.

ذكر اسم إسماعيل عليه السلام في القرآن وأثنى الله عليه -

(١) دخل بها : الجارية يحل معاشرتها معاشرة الزوجات .

مدحه - بقوله تعالى في سورة مريم : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)** ﴾ وجاء في القرآن قصة ذبح إبراهيم لولده وهمه بذلك إلى أن نودي بالكف عن ذبحه وأنه فدي بكبش يذبح عوضًا - بدلاً - عنه .

وقد كان المنام عند الأنبياء يعتبر وحيًا من الله تعالى ، وقد رأى إبراهيم عليه السلام في منامه أنه يقدم ابنه قربانًا لله فصدع إبراهيم - أطاع - بذلك الأمر الصادر إليه في المنام وعرض الأمر على ولده فتقبل القضاء بالرضا وقال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، ويقول بعض المفسرين إنه رأى في منامه أنه يذبح ذلك الولد عملاً فقص ذلك على ولده فحضه ابنه على أن يحقق منامه فلما حق العمل وأهوى بالمدية إلى ذبحه ناداه الله بالكف ، وأن هذا العمل منه يكفي تصديقًا للرؤية . ورأى إبراهيم كبشًا قريبًا منه فذبحه عن ولده والآيات الخاصة بهذه الحادثة لم تذكر اسم ذلك الولد ولكن سياق الكلام وذكر تبشير إبراهيم بإسحاق بعدها لا يكاد يبقي شكًا في أن الذبيح إسماعيل قال تعالى في سورة الصافات : ﴿ **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**

﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ﴾ [الصافات : ٩٩ - ١١٣] .

ومعنى تله : صرعه وألقاه على عنقه وخده . وكذب اليهود وادعوا أن الذبيح إسحاق لأنه أبوهم ويريدون أن يستأثروا بهذا الشرف أن يكون إسحاق هو الذي جاد بنفسه طاعة لله مع أن نص التوراة يقول : « فقال الرب خذ ابنك وحيدك الذي تحبه - إسحاق - واذهب إلى أرض الموريا الذي عليه مدينة أورشليم واصعده كرفة على أحد الجبال الذي أقول لك» .

ومعلوم من نص التوراة نفسها أن إسحاق ولد ولإسماعيل عشر سنين فلم يكن إسحاق هو الابن الوحيد .

وبقي إسماعيل إلى أن مات إبراهيم عليهما السلام وحضر إسماعيل وفاته ودفنه ، وأيضًا فإن الله تعالى بشر إسماعيل بأن إسحاق سيولد له يعقوب .

## * رحلة إسماعيل وهاجر إلى مكة

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ والوادي

: الذي لا زرع فيه هو الوادي الذي به مكة اليوم ، ولم يبن بمكة شيء بعد البيت - الكعبة - إلا في القرن الثاني قبل الإسلام في عهد قصي بن كلاب فإنه بنى دار الندوة وتبعته قريش تبني حول المسجد وقصي بن كلاب أحد أجداد النبي ﷺ .

وجاء إبراهيم عليه السلام بهاجر وابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هنالك ووضع عندها جرابًا - كيسًا - فيه تمر وسقاء فيه ماء - قربة - ثم انطلق إبراهيم فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسي ولا شيء ، فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له: آلله أمرك بهذا ؟ قال: نعم ، قالت : إذاً لا يضيعنا . ثم رجعت . فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية -مكان - حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت(١) ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم - حتى بلغ يشكرون -. وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى . فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأصل يليها - أقرب جبل إليها -

(١) وهذا من حديث ابن عباس ويدل على أن البيت كانت له آثار وقواعد وإنما رفعها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأن البيت كان موجودًا قبل إبراهيم عليه السلام ولكنه هدم.

فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر - الوادي طريق بين جبلين - هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها - قميصها ثم سعت سعي الإنسان المجهود - المتعب - حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة - جبل - فقامت عليه ونظرت هل تري أحدًا فلم تر أحدًا ففعلت ذلك سبع مرات - قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « **فذاك سعي الناس بينهما** » أي في العمرة والحج فلما أشرفت - وصلت - على المروة سمعت صوتًا فقالت : صه بمعني اسكت ، تريد نفسها ، ثم تسمعت فسمعت أيضًا ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غوث . فإذا هي بملك عند موضع زمزم فبحث بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه - تحيطه بتراب أو حجارة - وتقول بيدها هكذا -أي تفعل بيدها - وجعلت تغرف من الماء في سقائها - قربتها - وهو يفور بعدما تغرف، قال ابن عباس، قال النبي ﷺ: « **يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينًا معينًا** - كالنهر - » وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه ، وأن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعًا من الأرض ، كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم - قبيلة من العرب - مقبلين من طريق كداء - اسم مكان - فنزلوا أسفل مكة فرأوا طائرًا عائفًا - يحوم - فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا - عادتنا - بهذا الوادي ما فيه ماء ،

فأرسلوا جريا أو جريين - رجلاً يستطلع - فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك ، فقالت نعم: ولكن لا حق لكم في الماء . قالوا: نعم ، قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « **فألفى ذلك أم إسماعيل ولا تحب الأنس** » أي أنزل عليها الألفة والأنس والطمأنينة بنزول الناس عندها ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وثب الغلام -قفز- وتكلم العربية منهم، وأنفسهم - نافسهم - وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه - بلغ سن الإدراك والبلوغ - امرأة منهم .

وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا - يطلب الرزق - ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بشر نحن في ضيق وشدة ، فشكت إليه ،قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام - بلغيه سلامي - وقولي له يغير عتبة بابه - فلما جاء إسماعيل كأنه آنس - أحس - شيئًا فقال هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة قال : فهل أوصاك بشيء قالت نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك ، قال ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها ، وتزوج أخرى . فلبث عنهم - مكث - إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت : خرج يبتغي لنا ، قال : كيف

أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم . فقالت : نحن بخير وسعة وأثنت على الله - حمدت الله وشكرته - فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم؟ قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء . قال النبي ﷺ « **لم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لدعا لهم فيه . قال فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه** » . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه ، فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير ، قال فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة أمرني أن أمسكك - ثم لبث عنهم ما شاء الله -ثم جاء بعد ذلك ، وإسماعيل يبرى نبلاً - سهامًا - له قريبًا من زمزم ، فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل : إن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها قال :فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ .

## * بناء الكعبة المشرفة *

لما ترك إبراهيم عليه السلام إسماعيل وهاجر بالوادي الذي به مكة اليوم كان يزور ولده إسماعيل الحين بعد الحين-كل فترة من الزمان-ففي إحدى هذه الزيارات أمر الله تعالى إبراهيم وإسماعيل أن يبنيا البيت فأجابا الأمر وبنيا الكعبة، ولما تم بناؤها أمره الله تعالى-أي إبراهيم-أن يعلم الناس بأنه بنى بيتًا لعبادة الله تعالى وأن عليهم أن يقصدوه للنسك- يتوجهوا إليه لأداء شعائر الحج-وطلب إبراهيم وإسماعيل من الله تعالى أن يريهما- يعلمهما - المناسك التي ينسكها وبقي إبراهيم بعد ذلك زمنًا طويلاً.

والكعبة هى أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى في حين أن الشعوب والقبائل في سائر أنحاء الدنيا كانوا يبنون البيوت لعبادة الأصنام والتماثيل. قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾** ﴾ [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧] . وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ**

اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ وفي سورة إبراهيم : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ وفي سورة الحج : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الحج : ٢٦ - ٣٣] . وفي سورة الحج أيضًا : ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج : ٣٦ ، ٣٧] .

## * أولاد إسماعيل :

أولاد إسماعيل عليه السلام كانوا اثني عشر ذكر وكانوا رؤساء قبائل .

## * عمر إسماعيل ووفاته :

عاش إسماعيل مائة وسبعًا وثلاثين سنة ، ومات بالحجر هو وأمه .

* * *

## * دروس مستفادة من القصة *

انظر إلى صبر إسماعيل عليه السلام عندما أخبره والده إبراهيم أنه أمر في المنام بذبحه وكيف سلم لأمر الله وأعان والده على تنفيذ ما أمر به،وكيف ظهر حلمه وصبره واستقبل هذه التضحية، بصدر رحب -واسع- وقلب مطمئن ، وكان إسراعه في تنفيذ أمر الله إسراعًا فاق كل تصور . ويحض أباه على تنفيذ ما رأى دون أن يخشى عليه الجزع والهلع ، ودون أن تأخذه به رأفة تجعله يعدل عن تنفيذ هذا الأمر والإبطاء فيه ، ويخبره أنه سيكون واحدًا من أولئك الصابرين الذين صبروا على البلاء وشدته ابتغاء وجه الله تعالى ، وطلبًا لمرضاته. وانظر إلى صبر إبراهيم ومسارعته في تنفيذ أمر الله وإسلام وجهه لله واختبار صبر ابنه ومشاورته ليشاركه في رضاء الله وثوابه وهو أي إبراهيم قد بلغ من الكبر عتيًا وإسماعيل قد بلغ مبلغ الشباب والسعي وكان عونًا لأبيه ، وهو ابنه الوحيد ولم يخبر بأنه سيموت رغم حتفه على فراشه أو أن أحدًا من الناس سيقتله ولكن هو الذي يباشر قتله بنفسه فانظر إلى هذا البلاء المبين - الاختبار الواضح الظاهر العظيم - وانظر إلى إسماعيل وقد شابه أباه في الطاعة والتقوى وحب الله سبحانه وتعالى وتحلى بمكارم الأخلاق لا سيما الحلم والصبر . وإبراهيم بمقالة ولده وحسن بلاغه وسرعته في امتثال أمر الله فأخذ السكين وتله للجبين-صرعه على وجهه- حتى لا يرى وجهه فتأخذه رأفة تثنيه -تحوله- عن طاعة أمر الله.

وضجت الملائكة إلى ربها تدعوه أن يدرك إبراهيم وولده برحمته، فاستجاب الله شفاعة الملائكة وفدى إسماعيل بذبح عظيم . وقد وصف الله تعالى إسماعيل بالحلم ، فما هو الحلم ؟

**الحلم** هو : رزانة في العقل، ورجاحة في الرأي وغزارة في العلم، وسعة في الصدر، وهو ضد الجهل بكل معانيه ، كالسفه وفساد الرأي، وعدم إدراك العواقب، والغضب بغير حق، والتطاول على الناس . ومعنى ذلك أن إسماعيل عليه السلام قد أوتي كمال العقل والعلم والحلم إلا أنه قد برز في الحلم أكثر مما برز في العلم ، كما أن إسحاق قد برز في العلم أكثر مما برز في الحلم، وقد وصف الله إبراهيم بالحلم ، كما وصف إسماعيل فقال: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ** ﴾ [ هود : ٧٥] .

وهذا يعني أن الغلام على صورة أبيه في كمال عقله وسلامة إدراكه فلا عجب أن يكون عند حسن ظن أبيه به ، فقد بادله علمًا بعلم ، وحلمًا بحلم ، وصبرًا بصبر ، ورضا برضا .

فما أروع عاطفة النبوة حين تلتقي مع عاطفة الأبوة ، على أمر قد جمع بينهما على هدف واحد هو التفاني في مرضاة ربهما تبارك وتعالى .إن سرور الوالد بولده عندئذ قد أنساه وطأة – شدة – الحادث وألم المصاب مما جعله يقدم على تنفيذ الأمر بهمة عالية وعزم صادق ، غير مبال بما وراء ذلك من بشاعة المنظر ولوعة الفراق . وقد عرف إسماعيل عليه السلام أن رؤيا الأنبياء حق ، وأنها أمر من الله عز وجل يجب تنفيذه . ويستفاد من هذه القصة أن المؤمن الحق لا يدخر وسعًا في طاعة ربه وطلب مرضاته، حتى لو كان يترتب على ذلك الجود بالنفس-التضحية- والولد، لعلمه

أن نفســه وولده ملك لله،ولله ما أعطى ومـا أخذ وأنه من لوازم الإيمان أن يؤثر المؤمن حب الله على حب سواه بحيث لايكون في قلبـه ما يشغله عـن ذكره ويعوقـه-يعطله-عن طاعتـه. ومن هذه القـصة تـعلم أن الله عـز وجل أرحم على الولد من أبيـه بل هو أرحم به من نفسه، وأنه جل شأنه لا يحب لعـباده إلا الخير، ولا يريد أن يكلفهم ما لا طاقة -وسع وقدرة- لهم به ، وإذا اختبرهم بشيء فإنما يريد أن يمحص قلوبهم - يفرغـها - لذكره ، لكي لا تكون مشغولة بغيره ، غيرة فيـه سبحانه على الصفوة من عباده . فـسلب الله من السكين قوة الـتأثيـر ، وفعل به مـا يستـحق من التعظيم والتكريم وجعل قـصته مثلاً للآخـرين ،وعظة للمتقين .

وقد شـرف الله تعالى إبراهيم وإسـماعيل بأن كلفـهما ببناء بيـته الحرام أو إعادة بنائه بعد أن تهدم وكان البيت الحرام ربوة حمراء - مكان مرتفع - تنزل السيول أحيانًا عن يمينهـا وشمالها ، ولما كبر إسماعيل عليه السلام أمر الله إبراهيم أن يبني البيت الحرام بعد أن عـرفه مكـانه ، ليكون مـحجـة للناس ، وأمنًا ومـقـرًا للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وأمره أن يصحب معه ولده إسماعيل فقاما معًا ببناء هذا البيت بالحجارة ، فكان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجـارة ،وهما يضرعان - يتوسـلان - إلى الله تعالى أن يجعلهما مسلمين له ، وأن يجعل من ذريتـهما أمة مسلمة ، وأن يريهما مناسك الحج والعمرة وأن يبعث إلى أهل مكة ومن حولها رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ، ويعلمـهم مما علمه الله ويطهرهم من رجس - نجاسة - الشرك والضلال . فـاستجاب الله لإبراهيم وإسماعـيل وبعث النبي العربي محمـد بن عبد الله ﷺ وفي هذا يقول النبي ﷺ : « **أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى** » الكتاب هو

القرآن والحكمة هي السنة ، وبهما يتزكى المؤمن ويتطهر ولما أتم إبراهيم بناء البيت ، أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج ، فكان الحج فريضة في شريعته كما هو فريضة في شريعتنا ، وأراه الله مناسكه وساق الناس إلى بيته من كل مكان قريب أو بعيد رجالاً أي ماشين على أرجلهم وركبانًا على كل ضامر ، أي جمل خفيف البطن سريع السير .

وجعل الله في حج البيت منافع كثيرة للناس ، من أعظمها غفران الذنوب ، والتقاء المسلمين من أهل التشاور فيما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ**[١] **عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ**[٢] **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾** ﴾ .

وإلى القصة التالية إن شاء الله تعالى وهى قصة يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام وفيها من العبر والموعظة الشيء الكثير .



---

(١) أيام عرفة ، ويوم الأضحى ، وأيام التشريق .

(٢) يقضوا تفثهم : يتطهروا أو يقصوا أظافرهم قبل الإحرام .